وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لولده محمّد بن الحنفية

هذا ما افتَرض اللّٰه تعالى على جوارحك

رواية الفقيه يحيى بن سعد الحلّي

مقتطف من وصيّةٍ مبسوطة لأمير المؤمنين صلوات الله عليه، خصّ بها ولده محمّد بن الحنفية.

وقد أورد الشيخ الصدوق فقرات من هذه الوصية في (مَن لا يحضره الفقيه)، وفي غير موضعٍ من مصنّفاته رضوان الله تعالى عليه.

كذلك أورد فقرات منها المولى الفيض الكاشاني في (الوافي: ٢٣٣/٢٦)، والشيخ محمّد باقر المحمودي في (مستدرك نهج البلاغة: ٢٠٢/٧) وفصَّل القول في هامشها حول سياق الوصية وترتيب فقراتها.

ما يلي، مقتطف من هذه الوصية الجامعة برواية الفقيه الشيخ يحيى بن سعيد الحلّي أوردها في (الجامع للشرائع: ص٦٣٢).

روي أنّ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، قال في وصيّة لابنه محمّد بن الحنفية رضي الله عنه:

«لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ تبارَكَ وتَعالى قَد فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسأَلُكَ عَنها، وذَكَّرَها، ووَعَظَها، وحَدَّثَها، وأَدَّبَها، ولم يَتْرُكها سُدًى، فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦).

وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾(النور:١٥).

ثُمَّ استعبَدَها بِطاعةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧). فَهذِهِ فَريضةٌ جامِعَةٌ واجِبَةٌ على الجَوارِحِ.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن:١٨) يعني بِالمَساجِدِ: الوَجه، واليَدَين، والرُّكبَتَين، والإبهامَين.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ..﴾ (فصّلت:٢٢) يعني بِالجلود، الفُروج.

ثُمَّ خَصَّ كُلَّ جارِحَةٍ مِن جَوارِحِكَ بِفُروضٍ وَنَصَّ عَلَيها.

* فَفَرَضَ على السَّمعِ أنْ لا يُصغِيَ بِه إلى المَعاصي، فقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ..﴾ (النساء:١٤٠)، وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ..﴾ (الأنعام:٦٨).

ثمّ اسْتَثْنَى عَزَّ وَجَلَّ مَوْضِعَ النِّسيانِ، فَقالَ: ﴿..وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام:٦٨).

وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿..فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:١٧-١٨). وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿..وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ (الفرقان:٧٢) وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ..﴾ (القصص:٥٥). فَهذا مَا فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على السَّمْعِ وهُو عَمَلُه.

* وفَرَضَ على البَصَرِ أنْ لا يَنظُرَ إلى مَا حَرَّمَ الله عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ..﴾ (النور:٣٠)، فَحَرَّم أنْ يَنظُرَ أَحَدٌ إلى فَرْجِ غَيْرِه.

* وفَرَضَ على اللّسانِ الإقرارَ والتّعبيرَ عنِ القَلبِ بِما عُقِدَ عليه، فقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ..﴾ (البقرة:١٣٦). الآية. وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿..وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ..﴾ (البقرة:٨٣).

* وفَرَضَ على القَلبِ وهُوَ أَميرُ الجَوارِحِ، الّذي بِهِ تَعقِلُ وتَفْهَمُ، وتَصْدُرُ عن أَمْرِهِ ورَأْيِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿..إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ..﴾ (النحل:١٠٦) - الآية - وقالَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ أَخبَرَ عَن قَوْمٍ أُعطُوا الإيمانَ بِأَفواهِهِم وَلَمْ تُؤمِنْ قُلوبهُم، فقال تبارك وتعالى: ﴿..قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ..﴾ (المائدة:٤١) وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿.. أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨). وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿..وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ..﴾ (البقرة:٢٨٤).

* وفرض على اليدين أنْ لا تُدْنِيهِما إلى مَا حَرَّمَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيكَ، وأَنْ تَستَعمِلَهُما بِطاعَتِه، فقالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ..﴾ (المائدة:٦). وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ..﴾ (محمّد:٤).

* وفَرَضَ على الرِّجلَينِ أَنْ تَنقُلَهُما في طاعَةِ الله، وَلا تَمْشي بِهما مَشْيَ عاصٍ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (الإسراء:٣٧-٣٨). وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (يس:٦٥). فَأَخبَرَ عَزَّ وَجَلَّ عَنها أَنَّها تَشهَدُ على صاحِبِها يَومَ القِيامة.

فَهَذا ما افْتَرَضَ الله تبارَكَ وتَعالى على جَوارِحِكَ، فَاتَّقِ اللهَ يا بُنَيَّ واستَعمِلْها بِطاعَتِهِ ورِضوانِهِ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَراكَ اللهُ تعالى ذِكرُهُ عِندَ مَعصِيَتِه أَوْ يَفقدَكَ عِندَ طاعَتِه، فَتَكون مِن الخاسِرين.

* وعليكَ بِقراءَةِ القُرآنِ والعَمَلِ بِما فِيهِ، وأَمرِهِ ونَهيِهِ، والتَّهَجُّدِ بِهِ وتِلاوتِه، فَإِنَّهُ عَهْدٌ مِنَ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى إلى خَلقِهِ، فَهُوَ واجِبٌ على كُلِّ مُسلِمٍ أَنْ يَنظُرَ كُلَّ يَومٍ في عَهْدِهِ وَلَوْ خَمسينَ آية.

واعلم أنَّ درجات الجَنّة على عَدَدِ آياتِ القُرآنِ، فإذا كانَ يَومُ القِيامَةِ، يُقالُ لِقارِئِ القُرآنِ: اِقْرَأْ وارْقَ، فَلا يَكونُ فِي الجَنَّةِ بَعدَ النَّبِيّينَ والصِّدِّيقينَ أَرْفَعَ درَجة مِنهُ».